معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 16/ العدد 1 (جوان 2021): ص.ص:740-753

الشّعريّة: الماهيّة والحدود

Poetics: Concept and Frontiers

د. عيسى طيبي*

جامعة البويرة، الجزائر، aissataibi71@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/09؛ تاريخ القبول: 2021/07/11؛ تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص:

تهتم الشعرية بخصائص الخطاب النوعي الأدبي لا بالعمل الأدبي في حدّ ذاته. وقد أسهمت الأوضاع المعرفية والثقافية في تعدد دلالات الشعرية عند العرب، كما أسهمت في ذلك حتى في بيئتها الغربية.

ويُلَاحَظُ على مصطلح "الشعرية" التباسه بالشّعر تارة، وبالأدب تارة أخرى، أو استخدامه لآليّة التّعريب تارة ثالثة، وأحيانا أخرى ينأى عن ذلك كلّه ليبحث في التّراث العربيّ عن مقابل يفي بالغرض .

كلمات مفتاحية: الشعرية؛ الأدبيّة؛ البلاغة؛ السرد؛ الخطاب.

Abstract

Poetics is interested in the peculiarities of qualitative literary discourse and not in literary work in itself. The various cognitive and literary events have participated in the diversification of the meaning of poetics among the Arabs even in its western structure. This concept merges with the meanings of other notions which are based on poetry, literature and Arabization. It sometimes relies on research into Arab heritage.

Keywords: Poetics; Literary; Rhetoric; Narration; discourse.

* المؤلف المرسل.

المقدمة:

إنّ "الشّعريّة" مصطلح كثير التّداول في مختلف الدّراسات الحديثة، غير أنّ استخدامه يتباين من دارس إلى آخر، ومن لغة إلى أخرى، بالنّظر إلى الخلفيّة المعرفيّة المستند إليها، ما يشكّل أحيانا لُبْسًا عند المتلقّي، الذي يرى في بعض الاستخدامات خروجا عن مَفْهَمَة هذا المصطلح ودلالته إلى مفاهيم متاخمة له في الحقل النّقدي الحديث.

وتسعى هذه الدّراسة إلى الوقوف عند هذا المصطلح ومَفْهَمَتِه، ومعرفة حدود دلالته، وتقاطعاته مع علوم ومعارف أخرى، وذلك بالإشارة بادِئًا إلى ارتباطه باللّسانيات الحديثة، وتشابك معانيه مع معاني مصطلحات أخرى، وارتباطه بالسّرديات، ثمّ الانتقال إلى الحديث عن اقترانه بالبلاغة، وحدود كلّ منهما، فتناول الفرق بينه وبين الأدبيّة، لنختم حديثنا بانسحاب هذا المفهوم على الشّعر والسّرد عل حدّ سواء.

1- الاشتغال النّقدي لمصطلح الشّعريّة:

تثير" الشّعريّة" جدلا واسعا في الدّراسات الحديثة بالنّظر لتشابك معانيها، وتعدّد تعريفاتها، ممّا يجعلها تلتبس مع معاني مصطلحات أخرى لها صلة بالنّصّ الأدبيّ، باعتبارها تعنى بقوانين الإبداع الأدبيّ، وتسعى إلى كشف مكوّنات النّصّ الأدبيّ، وكيفيّة تحقيق وظيفته الاتّصاليّة والجماليّة، وهي تتمحور منذ القديم أساسا حول إبراز هويّة النّصّ المُنْتَج، وفرادته الأدبيّة، وخصوصيّته الجماليّة. ويوضح جيرار جينيت Gérard genetteبأنّ مصطلح "الشعرية" بوصفها تحليلا للسمات الدائمة للفعل الأدبي "جاء بوساطة فاليري Valéry من الكتاب التأسيسي لأرسطو؛ الذي يعود إليه الاستخدام الأوّل للفظ " الشّعريّة" في كتابه " فنّ الشّعر". وقد ذكر جيرار جينيت ذلك في سياق حديثه عن اجتهاده وبعض النقاد المعاصرين له إلى إيجاد مصطلحات جديدة، تواكب ما كان يجري في عصره من ميل إلى المنهج البنيوي(مثل علم الإنسان البنيوي، واللسانيات البنيوية)، وبالتالي النأي عن مصطلح "النقد" الذي لم يعد مناسبا، بالنظر إلى التطور الحاصل حينئذ، في مجال النقد بشكل عام[1].

(1) - ينظر: رولان بارت، جيرار جينيت، من البنيوية إلى الشعرية، تر: غسان السيد، دار نينوى للدراسات والنشر =

تسعى الشّعريّة إلى معرفة القوانين العامّة الّتي تنظّم ولادة كلّ عمل لا إلى تسمية المعنى، فهي إذاً مقاربة للأدب مجرّدة وباطنيّة في الآن نفسه[1]، تهتمّ بخصائص الخطاب النّوعيّ الأدبيّ لا بالعمل الأدبيّ في حدّ ذاته، فهي تعنى بالخصائص المجرّدة الّتي تصنع فرادة الحدث الأدبيّ، وتجعل منه متميّزا، وعن تسميتها بهذا المصطلح يوضّح فاليري :« يبدو لنا أنّ اسم شعريّة ينطبق عليه إذا فهمناه بالعودة إلى معناه الاشتقاقيّ، أيّ اسما لكلّ ما له صلة بإبداع كتب أو تأليفها؛ حيث تكون اللّغة في آن واحد الجوهر والوسيلة، لا بالعودة إلى المعنى الضّيق الّذي يعني مجموعة من القواعد أو المبادئ الجماليّة ذات الصّلة بالشّعر.»[2] (*)، وتَعني الشّعريّة ممّا تعنيه الخصائص الأدبيّة الّتي يمتاز بها خطاب لغويّ ما، التي تجعله محافظا على كينونته. إنّ «الشّعريّة (...)، تدلّ على كلّ موضوع جماليّ وارف الظّلال التّخييليّة، كثيف الطّاقات الإيحائيّة، من شأنه أن يفجر ينابيع القول الشّعريّ في أعماق الذّات الشّاعرة، وأن يثير إحساس المتلقّي، ويطوح بخياله في عوالم مثاليّة حالمة...»[3].

ولهذا المصطلح مقابلات متنوّعة، احتشدت في ساحة الاشتغال النّقديّ للتّعبير عن المفهوم الواحد، هذه المصطلحات تتقارب وتتباعد تبعا للعصر، والمنهج، وقد استخدم النّقاد العرب مصطلحات كثيرة للدّلالة على مصطلح "الشّعريّة"، إذ عدّها بعضهم، ووجد أنّها تفوق اثنين وثلاثين مصطلحا، نورد منها: الشّاعريّة - الشّعريّات – الشّاعريّ - الشّعرانيّة - فنّ الشّعر- علم الشّعر- الإنشائيّة - علم الأدب التأليف – الأدبيّة –

=

والتوزيع، دمشق، 2001، ط1، ص:62. .

(1) - ينظر: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص، دار الحكمة، الجزائر، دط، فيفري 2000، ص: 140.

(2) - تزفيطان طودوروف، الشّعريّة، ترجمة: شكريّ المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط2، 1990، ، ص: 23، 24. نقلا عن: *P. Valéry, de l'enseignement de la poétique au collège de France, variété v, paris, Gallimard, 1945, p 291.*

*- لمزيد من الاطلاع في موضوع الانتقال من النقد الأدبي إلى مفهوم الشعرية في الأدب؛ ينظر: رولان بارت وجيرار جينيت، من البنيوية إلى الشعرية، تر: غسان السيد، ص: 57- 99.

(3) - يوسف وغليسي تحوّلات «الشّعريّة» في الثّقافة النّقديّة العربيّة الجديدة، عالم الفكر، مجلّة دوريّة محكّمة تصدر عن المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب- الكويت، العدد3 المجلّد 37 يناير- مارس 2009، ص: 12.

البويتيك – البويطيقا – البوايتيك - فنّ النّظم - الجماليّة[1].

يُلَاحَظُ على هذه المصطلحات التباسها بالشّعر تارة (الشّاعريّة - الشّعريّات – الشّاعريّ - الشّعرانيّة - فنّ الشّعر- علم الشّعر...)، وبالأدب تارة أخرى (الإنشائيّة - علم الأدب - التأليف– الأدبيّة ...)، أو استخدامها لآليّة التّعريب تارة ثالثة (البويتيك – البويطيقا – البوايتيك...)، وأحيانا أخرى تنأى عن ذلك كلّه، لتبحث في التّراث العربيّ عن مقابل قد يفي بالغرض(فنّ النّظم – الجماليّة...)[2]، رغم أنّ تعدّد دلالات الشّعريّة موجود حتّى في بيئتها الغربيّة، بالنّظر إلى تشابك الأوضاع المعرفيّة والثّقافيّة الّتي أسهمت في ظهورها، كالفلسفة، والبلاغة، والسّيميائيّة[3]...

يرتبط مصطلح "الشّعريّة" بالسّرديّات Narratologie (ناراتولوجي-علم السرد)[4] أيّ؛ علم الحكي، الّذي يختصّ بدراسة البُنَى السّرديّة، يقول جيرار جينيت « لقد ارتبط علم السرد بوصفه حقلا أدبيا خالصا، بالبنيات الشكلية بصورة خاصة، على الرغم من أن المصطلح امتد اليوم ضمن هذا المعنى، ولكن هذا التحديد ليس مسوغا مبدئيا مثل تحديد البلاغة في دراسة الرموز، ومثل التحديد الذي ميز تركيز انتباه علماء السرد على سرد التخييل، مع ترك السرد التاريخي، ونماذج أخرى من السرد غير التخيلي لعلماء آخرين هم بصورة عامة فلاسفة مثل دانتو وريكور.»[5] ما يجعل الحديث عن الوظيفة الشّعريّة؛ يشمل جميع مجالات النّشاط اللّغويّ، وإن اختلفت هذه الوظيفة الشعرية في

(1) - لمزيد من الإيضاح في موضوع إشكاليّة اصطلاحات "الشّعريّة"، ينظر: الجداول الّتي استعان بها الباحث يوسف وغليسي؛ يوسف وغليسي تحوّلات «الشّعريّة» في الثّقافة النّقديّة العربيّة الجديدة، ص: 16-21.

(2) - يرى الباحث عبد العالي بوطيب أن من أسباب إشكالية المصطلح هو اعتماد الدارسين المطلق على اجتهاداتهم الشخصية، دون احتكام لضوابط علمية واحدة وموحدة، ففي الوقت الذي يعتمد فيه البعض على الترجمة في إيجاد المقابلات المصطلحية العربية، يفضل الآخرون التعريب أو الشرح. ينظر: عبد العالي بوطيب، إشكالية المصطلح في النقد الروائي العربي، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد70، شتاء- ربيع 2007، ص: 306.

(3) - ينظر: محمّد كنونيّ، بعض مظاهر الأثر اللّسانيّ في الشّعريّة الحديثة، البلاغة وتحليل الخطاب، مجلّة فصليّة علميّة محكّمة، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، العدد11-2017، ص: 84- 97.

(4) - تودوروف هو من اصطلح على " تحليل السرد" تسمية (ناراتولوجي- علم السرد)، ينظر: رولان بارت، جيرار جينيت، من البنيوية إلى الشعرية، تر: غسان السيد، ص: 65 .

(5) - رولان بارت، جيرار جينيت، من البنيوية إلى الشعرية، تر: غسان السيد، ص: 66 .

كثافتها وتعقيدها من نشاط لغوي لآخر.« فالنّصّ الأدبيّ- رواية أو قصيدة- لا يقوم بالمكوّن المهيمن فقط؛ أيّ السّرد في الرّواية والشّعريّة في القصيدة، بل يقومان أيضا بمكوّنات أخرى غير أصليّة، ولكنّها قائمة فيهما؛ ففي الرّواية والقصيدة معا يتدخّل السّرد والوصف والحجاج والشّعريّة؛ أيّ إنّنا لا نواجه جنسين خالصين أو نمطين نصيين نقيين. من هنا ضرورة الانتفاع بالتّحليل البلاغيّ لمراعاة طبيعة تشكّل النّصوص في أجناس أدبيّة مختلفة.»[1]. على اعتبار أنّ البلاغة تستوعب الجانبين: الحجاجي، والأدبي الجمالي.

2- بين الشّعريّة والبلاغة:

يتمّ تعريف الشّعريّة على أنّها سعي لشرح التّأثيرات الأدبيّة من خلال وصف الأعراف، وقراءة العمليّات الّتي تجعل هذه التّأثيرات ممكنة، كما إنّها تقترن بالبلاغة، بالنّظر لارتباط البلاغة نظريّا وتاريخيّا بدراسة الخطاب التّداوليّ، والحجاجيّ، وارتباطها أيضا من زاوية أخرى بدراسة الخطاب الأدبيّ في وجوهه الأسلوبيّة اللّغويّة، ولكن البلاغة ليست قارة ثابتة، بل متحوّلة دوما، بتأثير مختلف التّيارات الفكريّة، وتنوّع الإيديولوجيّات، الّتي تواصلت معها، أو في سياق تأثير أنواع التّعابير والخطابات فيها. ممّا جعل البلاغة مجالا يستوعب ما هو حجاجيّ، وما هو أدبيّ،« وإذا كانت البلاغة هي تحليل للنّصّ من زاوية نظر المتلقّي (المستمع والمخاطب والمشاهد والقارئ) أي ما يحدثه فيه من آثار فعليّة، فإنّ النّقد الأدبيّ –المرتكز على التّداوليّة ونظرية التّلقي- ينظر إلى النّصّ الأدبيّ باعتبار ما ينتجه من آثار في المتلقّي. صحيح أنّ ثمّة فرقا بين الأثر البلاغيّ، وهو أثر خارجيّ، والأثر الجماليّ وهو أثر نصّي لا يتوخّى التّأثير الفعليّ، ولكن كلاهما يمنح النّص الأدبيّ بعدا تداوليًّا ويبيّن جدوى مساهمة التّحليل البلاغيّ الحجاجيّ في نظرية الأدب الحديثة.» [2] فنظريّا؛ البلاغة مؤهّلة لدراسة الصّور الشّعريّة والحبكات السّرديّة، إذ إنّ البلاغة لا يحدّدها الإقناع فقط، وإنّما التّخييل كذلك على نحو ما يذكر بول ريكور Paul

(1) - محمّد مشبال، النّصّ الأدبيّ القديم من الشّعريّة إلى البلاغة الحجاجيّة، التّحليل الحجاجيّ للخطاب، بحوث محكّمة، إشراف وتقديم: أحمد قادم، سعيد العواديّ، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1437هـ2016، ص: 261.

(2) - محمد مشبال، النص الأدبي القديم من الشعرية إلى البلاغة الحجاجية، ص: 262.

Ricœur[*]، ويوضحه أحد الباحثين بقوله « لقد أودعت البشرية تاريخها، ماضيها وذكرياتها وآلامها، في الكلمات وفي أشكال تعبيريّة قد يكون مصدرها الطبيعة، ولكنها موجّهة لغايات دلاليّة تتجاوز حدود التّعبير عن حضور مادّي في العالم. ومن هذه الأشكال هناك في المقام الأوّل اللّغة، وهناك الطّقوس الاجتماعيّة وهناك النّقش على الصخور والرسم على جدران الكهوف، ومنها أيضا الاستعمالات الاستعاريّة التي طالت كلّ شيء، بما فيها أشياء الإنسان والكائنات التي تؤثّث عالمه وتؤنسه.» [1]، فلو لم تكن الصّورة الشّعريّة تنطوي على سمات دلاليّة وتداوليّة معا، لمّا حقّقت تجاوبا عند المتلقّين.

ومن الّذين عملوا على توسيع مجال البلاغة فونتاني Fontanier؛ الّذي اتّخذ موقفا وسطا بين أرسطو الّذي أسّس أوّل بلاغة شاملة للنّصّ وبين دومارسين الّذي حصر مجال البلاغة في المجازات أو في صنف واحد من أصناف الصّور البلاغيّة « فاتّخذ من الصّور البلاغيّة الّتي تنطلق من الكلمة في اتّجاه خطاب وحدة تصوريّة للبلاغة، وذلك ما اصطلح عليها بصور الفكر.»[2] ومن بين الصّور الّتي تطرّق إليها نجد الطوبوغرافيّة الّتي تتعلّق بوصف المكان، والكرونوغرافية الّتي تصف زمن الحدث، والبروزوبوغرافيّة الّتي تصف الشّكل الخارجيّ للشّخصيّة، وكذلك نجد البوررتريه الذي يهتم بظاهر الكائن الحي وأخلاقه على حد سواء.

واستمرّت البلاغة في التّطوّر مع مرور الزّمن، ففي السّبعينات قدّمت أعمال تندرج في إطار النّظريّة البلاغيّة، وذلك بمفهومها المدرسيّ الدّقيق، وإن حرصوا على تطويرها وفتحها على مجال السّرد.

---

*- بول ريكور فيلسوف فرنسي(1913-2005)، واحد من أهمّ الأعلام في العلوم الإنسانيّة، عُرِف بتفتّحه على كلّ الثّقافات والتيّارات الفكريّة، وقد أفرد له الباحث المغربي سعيد بنكراد فصلا قائما بذاته، لأهميّة فلسفته التّأمليّة التي جمعت بين مختلف الميادين، بدءا من الفلسفة والهرموسيّة والتّاريخ، وانتهاء باللّسانيات والسّميائيّات والنقد الأدبي. ولمزيد من الاطّلاع على نموذجه؛ ينظر: سعيد بنكراد، سيرورات التّأويل من الهرموسيّة إلى السّميائيّات، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط ، ط1، 1433هـ-201، الفصل الرابع.

(1) - سعيد بن كراد، سيرورات التّأويل من الهرموسيّة إلى السّيميّائيات، ص: 210.

(2) - محمّد مشبال، عن تحوّلات البلاغة، بلاغات، مجلّة دوريّة تصدر عن مجموعة البحث في البلاغة والأدب بالمغرب، العدد الأوّل، شتاء 2009، ص: 16.

للإشارة؛ فإنّ تحوّل البلاغة قد لاقى رفضا وهجوما من البعض، ومن بينهم أرسطو، ذلك أنّهم رأوا أنّ تحويل البلاغة من المنظور الحجاجيّ إلى المنظور الجماليّ فيه تضييق للبلاغة واختزال لمفهوماتها، وتقويضا لأساسها النّظريّ، باعتبارها نظريّة الخطاب الحجاجيّ من حيث المقاصد والبناء والأسلوب، بالإضافة إلى ذلك يرى هؤلاء أنّ هناك العديد من النّصوص الّتي تظلّ بعيدة عن إمكانات المقاربة البلاغيّة لجميع المقامات أن تهتمّ بالبنيّات الحجاجيّة في الخطابات، فالبعض يستدلّ على رفضهم لربط البلاغة بالشّعريّة؛ بما فعله أرسطو: « ويستند تصوّر هؤلاء إلى فصل أرسطو بين البلاغة والشّعريّة؛ حيث تختصّ الأولى بدراسة النّصّ التّداوليّ بينما تختصّ الثّانية بدراسة النّصّ التّخييليّ، إنّ البلاغة في نظرهم لا يمكن أن تكون سوى دراسة للنّصّ من وجهة وظيفته الحجاجيّة، وحتّى دراسة الوجوه الأسلوبيّة في النّصّ؛ ينبغي أن تخضع لمبدأ التّلازم بين الأسلوب والحجاج، فالمقاربة البلاغيّة للوجوه الأسلوبيّة معنية بما تحمله من أبعاد حجاجيّة.»[1] .

وهذا الرّفض جعل البلاغة تستعيد البعد الحجاجيّ الّذي ضاع منها في تاريخ تحوّلها إلى نظريّة في الأسلوب الجميل، أو في الوظيفة الأدبيّة للخطاب، ومن هنا بدأت عمليّة إعادة الاعتبار للبلاغة ومحاولة تجديدها، ومن بين هؤلاء نجد جون كوهين Jean Cohen الّذي أسّس مشروعه في كتابه "بنيّة اللّغة الشّعريّة"، ووجد امتدادا له في كتابه الكلام السّامي: « والحقّ أنّ هذا الحكم المسبق المعادي للبلاغة، قد تغيّر قليلا منذ كتابة هذه السّطور، عند اللّسانيين على الأقلّ، واعترفت الأسلوبيّة بدينها نحو هذا العلم العتيق، في الوقت نفسه الّذي تحاول فيه تجديده، وتطمح هذه الدّراسة لأن تسجل ضمن هذه المحاولة.»[2] بمعنى محاولة تجديد البلاغة في ضوء المعرفة اللّسانيّة الحديثة، وقام جون كوهين بمجموعة من الخطوات لتأسيس شعريّة/بلاغة حديثة، فقبل مباشرة عمليّة البناء والتّنسيق بادر إلى تحديد موضوعه بدقّة بأسلوب حجاجيّ مكين من خلال تحديد ماهيّة الشّعر، متّخذا من ثنائيّة الشّعر والسّرد منطلقا لرصد طبيعة العلاقة بينهما، وبناء على هذا المنظور القائم على مقابلة الشّعر والسّرد أعاد الاعتبار للمستوى اللّغويّ

(1) - محمّد مشبال، عن تحوّلات البلاغة، بلاغات، ص: 11.

(2) - جان كوهين، بنيّة اللّغة الشّعريّة، تر: محمد المولي ومحمّد العمريّ، دار توبقال، ط1، 1981، ص: 47.

والشّكليّ للشّعر، بعد الإهمال الّذي لقيه هذا المستوى من الخطاب الشّعريّ التّخييليّ. « ومن ثمّ إسهام الشّعريّة في تشكيل بلاغة الخطاب الأدبي يعدّ جوهريّا، كما أنّ مقولاتها تظلّ الرّصيد الذي يدّخره علم النّصّ لشرح خصوصيّة النّصوص الأدبيّة.»[1].

إنّ البلاغة موجودة طبيعيّا في الكلام، وليس لها حدود تحدّها، وهي قابلة للتّطوّر، تبعا للاجتهادات التي تخصّها، من منظور أنّها موجودة في الحياة، وفي مختلف أشكال التّواصل اللّفظي وغير اللّفظي، باعتبارها غزيرة بالصّور والوجوه الأسلوبيّة، ومتوجّة بالجانب الجماليّ.

3- بين الشّعريّة والأدبيّة:

إنّ النّاقد المتتبّع لإشكاليّة المصطلحات والمفاهيم، يلاحظ أنّها ليست حالة منفردة؛ بل ظاهرة متوسّعة تفاقمت مع المثقافة، والاحتكاك بالآخر على الخصوص، في راهن الكتابات النّقديّة؛ الّتي تعجّ بالمفاهيم، والمصطلحات، والنّظريّات، وفي ضوء الحديث عن "الشّعريّة" نلفي مصطلحات متاخمة لها، وتربطها بها وشائج عميقة، ولعلّ أقرب هذه المصطلحات الّتي لها مع الشّعريّة حدود اصطلاحيّة، ومفاهيميّة معقدة في هذا الفضاء النّقديّ الواسع، مصطلح "الأدبيّة" littérarité .

إنّ مصطلح "الشّعريّة"؛ وهو ترجمة للمصطلح الفرنسيّ"poétique"، والإنجليزيّ poetics يرتبط بالدّراسات اللّسانيّة الحديثة، وتحديدا بظهور حركة الشّكلانيين الرّوس، في سنوات العشرينات من القرن الماضي؛ والّذين كانوا يَجنحون إلى استبعاد الثّنائيّة التّقليديّة المكوّنة من الشّكل والمضمون[2]. إنّ ارتكاز الشّكلانيّين الرّوس على ما يسمّى بـ "أدبيّة الأدب" الّتي قال بها رومان جاكبسون جعلهم يرفضون التّعامل مع النّصّ الأدبيّ من منظور غير أدبيّ، وذلك بتجاوز التّفسيرات الاجتماعيّة، والنّفسيّة، والتّاريخيّة، لأنّ ذلك من اختصاص علوم أخرى؛ كعلم الاجتماع، وعلم النّفس،

(1) - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 164-صفر1413هـ، أغسطس/آب 1992، ص: 53.

(2) - ينظر: مجموعة من المؤلّفين، إشراف محمد القاضي، معجم السّرديات، الرّابطة الدوليّة للنّاشرين المستقلّين (دار محمّد علي للنّشر- تونس، دار الفارابي - لبنان، مؤسّسة الانتشار العربي- لبنان، دار تالة- الجزائر، دار العين - مصر، دار الملتقى- المغرب)، ط1، 2010، ص: 273.

والتّاريخ. كما تجاوز فهم مصطلح "الشّعريّة" عندهم حدود النّصّ الشّعريّ إلى غيره من النّصوص الأدبيّة الأخرى، فشملت دراساتهم « القصّة (شخلوفسكي) والرّواية (باختين)، والحكاية الشّعبيّة (بروب)، ونظريّة النّثر بوجه عامّ (إيخنبوم) »[1]. وذلك «لأنّ الوظيفة الشّعريّة عنصر مكوّن من جميع مجالات النّشاط اللّغويّ، وإن اختلفت في كثافتها، وتعقيدها من شكل لآخر...»[2] أو من نصّ إلى آخر.

يشير الباحث عبد الملك مرتاض إلى أنّ الدّارسين خاضوا في تعريف " أدبيّة الأدب" أكثر ممّا خاضوا في تعريف الأدب نفسه، وقد أطلق النّقاد العرب القدامى إثر خوضهم في هذه المسألة تسميات كثيرة، منها؛ "حسن الدّيباجة" و"الرّونق" كما فعل ابن طباطبا، وعبد السّلام الجمحيّ،[3] وكما يظهر من المصطلحين، فإنّ الصّفتين تنصرفان إلى "اللّفظ" لا إلى "المعنى"، كما هو الشأن في استخدام مصطلحات أخرى من قبل دارسين آخرين، على غرار مصطلح "الصناعة" الذي وظفه أبو هلال العسكري في كتابه " الصناعتين" ، ومصطلح "الصياغة" الذي استخدمه النقاد للدلالة على الكلام الأدبي« ولاشك أن علاقة " الصياغة بـ" الصناعة من باب علاقة الجزء بكل والخاص بالعام، وهما معا- وخصوصا مصطلح الصناعة- يبحثان في شروط تحقيق "الأدبية" وكل ما من شأنه أن يجعل الكلام أدبا وفنا جميلا. »[4].

لكن يبقى الرّوسيّ جاكبسون Jakobson (1896-1982) أهمّ من تناول " الأدبيّة" تناولا منهجيّا، بقوله الشّهير:« ليس موضوع العلم الأدبي هو الأدب، وإنما الأدبيّة، أيّ ما يجعل من عمل معين عملًا أدبيّا.»[5]. ويظهر من طرح رومان ياكبسون أنّ القضيّة

(1) - أحمد منور، علم النّصّ من التّأسيس إلى التّأصيل، مجلّة اللّغة والأدب، معهد اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 12، شعبان، 1418هـ/ ديسمبر 1997، ص: 20.

(2) - نور الدّين السّدّ، الأسلوبيّة وتحليل الخطاب، دراسة في النّقد العربيّ الحديث، ج2، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بوزريعة – الجزائر، ص: 91.

(3) - ينظر: عبد الملك مرتاض، الأدب والأدبيّة: بحث في الماهيّة، علامات في النّقد، النّادي الأدبيّ الثّقافيّ، جدّة، المجلّد العاشر،ج40، ربيع الآخر1422، جوان 2001، ص: 168، 169.

(4) - محمد الواسطي، قضايا في الخطاب النقدي والبلاغي، مطبعة آنفو- برانت، فاس، دط، 2009، ص: 45. ولمزيد من الإيضاح في موضوع الاصطلاح المتعلق بـ" الأدبية " في الخطاب النقدي عند العرب، ينظر: المرجع نفسه، الفصل الثاني.

(5) - تزفيطان طودوروف، الشّعريّة، ترجمة: شكريّ المبخوت ورجاء بن سلامة، ص: 84.

الأساسيّة في الشّعريّة هي قضية "الأدبيّة"، بمعنى ما الّذي يجعل من رسالة كلاميّة "عملا فنّيّا"، ممّا جعل موضوع الأدبيّة مدارا لكثير من الشّكلانيّين الرّوس، الّذين جعلوا منها موضوعا لعلم الأدب، يتقصّى الكيفيّات الفنّيّة الّتي تجعل من خطاب لغويّ ما، نصّا أدبيّا مميّزا، ممّا يؤهّلنا للقول: بأنّ الشّعريّة تأخذ في اعتبارها مفهوم الأدبيّة، كي تتأسّس علما للأدب، أي؛ إنّ الشّعريّة علم عامّ موضوعه الأدبيّة، يروم القيام علما للأدب، غايته في ذلك؛ استنباط الخصائص النّوعيّة، والقوانين الدّاخليّة للخطاب الأدبيّ، فالشّعريّة لا تخصّ جنسا أدبيّا معيّنا، بينما تعتبر الأدبيّة جزءا منها[1].

4- شعريّة الشّعر وشعريّة السّرد:

إنّنا بحديثنا عن الشّعريّة لابدّ أن نخوض في عنصرين كليهما لا يتجزّأ عن الآخر "الشّعر والسّرد"، فأين تتحقّق الشّعريّة، وهل هي ملازمة للشّعر فقط؟

يعتبر الشّعر من الفنون العربيّة الأولى عند العرب، وهو كلام يعتمد على استخدام موسيقى خاصّة به، يطلق عليها مسمّى الموسيقى الشّعريّة، كما يعتمد على وزن محدّد، كلماته مشحونة بالمعاني، والدّلالات، مشوبة بعواطف مختلفة؛ عواطف الحزن والأسى والألم، أو عواطف البهجة والفرح واللّذة...و«الشّعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبّب إلى النّفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمّل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمّن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلّة بنفسها أو متصوّرة بحسن هيأة تأليف الكلام، أو قوّة صدقه أو قوّة شهرته، أو بمجموع ذلك. وكلّ ذلك يتأكّد بما يقترن، به من إغراب. فإنّ الاستغراب والتّعجّب حركة للنّفس إذا اقترنت بحركتها الخياليّة قويّ انفعالها وتأثرها.»[2].

(1) - يرى الباحث عبد الملك مرتاض أنّ الشعرية لا تختلف، أو لا تكاد تختلف عن الأدبية، ينظر: عبد الملك مرتاض، الأدب والأدبيّة: بحث في الماهيّة، علامات في النّقد، ص: 170. وتذكر الباحثة فيروز رشّام أنّ الأدبيّة حقل موازٍ للشّعريّة. ينظر: فيروز رشّام، شعريّة الأجناس الأدبيّة في الأدب العربي، دراسة أجناسيّة لأدب نزار قبّاني، دار فضاءات للنّشر والتوزيع ، عمّان ، ط1، 2017، ص19. وينظر أيضا: فيروز رشّام، قضايا الشعريّة وإشكالاتها، مجلة معارف، كلية الآداب واللغات، جامعة آكلي محند أولحاج- البويرة، السّنة الثّامنة، العدد15، جوان 2014، ص: 157.

(2) - حازم القرطاجنيّ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمّد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط3، 1986، ص: 71.

والشّعريّة هي جوهر الشّعر، والسّرّ الكامن الّذي يمنحه الجماليّة، والفنيّة، فهي عنصر أساس لابدّ منه، حتّى يستحقّ المبدع لقب الشّاعر، وهي ذلك الشّيء الّذي يمتلكه الشّاعر، ويتيح لها التّعبير عن خلجات نفسه بأسلوب شاعريّ، فهي ترتبط ارتباطا بأصالة نفس الشّاعر، وعمق تفكيره، وبراعته الإبداعيّة. وتعتبر اللّغة الشّعريّة من أهمّ أدوات التّشكيل الجماليّ في الشّعر، ولابدّ من أن يكشف الأسلوب الشّعريّ للشّاعر عن تفرّده، وخصوصيّته، في صوغ تجاربه الشّعوريّة، ونقلها في قالب فنّيّ، متكامل البناء.

إنّ ارتباط الشّعريّة بالشّعر ولصقوها به من المفاهيم القديمة، إذ إنّ الشّعريّة ليست وقفا على النّصّ الشّعر فحسب، ولكنّها - أيّ الشّعريّة - متحقّقة في النّصوص السّرديّة أيضا. خاصّة مع امحاء الحدود الصّارمة بين الأجناس الأدبيّة، والسّاحة الأدبيّة تشهد هدم "التّجنيس الأدبيّ"...إذ صارت الرّواية الحديثة تستعير من الشّعر لغته، كما استعارت مضامينه ومواضيعه، مُحوِّلة الحبّ والعواطف والأحاسيس الّتي لها اتّصال بالشّعر أساسا إلى قيمة مركزيّة في الرّوايات عموما، وبذلك جاءت لغتها مزدحمة بالصّور المجازيّة، مثخنة بالإيحاء، ملتبسة بالغموض، تقلّ فيها الوظيفة المرجعيّة في مقابل هيمنة الوظائف الأخرى الّتي هي خصيصة من خصائص الشّعر؛ كالوظيفة الجماليّة، والوظيفة الانفعاليّة، إلى درجة أنّ الإيقاع الّذي يعتبر أهمّ مميّزات النّصّ الشّعريّ، لم يعد وقفا على الشّعر وحده، بل صار حضوره في الرّواية أمرا واردا بامتياز، ممّا أكسب النّصّ السّرديّ أبعادًا شعريّة، يؤدّي بنا حتما إلى القول بتداخل الجنسين الشّعر والسّرد، والفضاء الأدبيّ الشّاسع يقف على "تشعر السّرد"، و"تسريد الشّعر". وتبقى صورة الأدب بشكل عامّ هي« مجرّد نتاج الخيال، وتشكيلات اللّغة، وعطاءات اللاموجود، انطلاقا من موجود، ليس له – في الحقيقة- أصل من وجود، ذلك أنّ الأدب لا يمكن أن يكون خيالا محضا، ولا واقعا محضا؛...»[1].

حفز هذا التّآلف الّذي فرضته الممارسة الأدبيّة، اجتماع الشّعر والسّرد في خطاب واحد، مما يخوّل لنا القول بأنّ الحديث عن الشّعريّة لم يكن مقصورا على جنس أدبيّ دون سواه، ويؤكّد الفكرة السّالفة الذّكر، من أنّ هذا المصطلح يتغلغل إلى عمق كلّ

(1) - عبد الملك مرتاض، الأدب والأدبيّة: بحث في الماهيّة، علامات في النّقد، ص: 161.

الأجناس التّعبيريّة دون استثناء، ويجعل فكرة التّقابل بين الشّعر والسّرد فكرة تنتفي بشكل نهائيّ. ويبقى التّمايز بين الجنسين في درجة حضور الشّعريّة فقط، وليس في حضورها أو في عدم حضورها في هذا النّوع أو ذاك. يقول جون كوهين: «إنّ الشّاعر بقوله لا بتفكيره وإحساسه، إنّه خالق كلمات، وليس خالق أفكار، وترجع عبقريّته كلّها إلى الإبداع اللّغويّ.»[1]، وهذا ينسحب في اعتقادي على كلّ مُبدع لنّصّ أدبيّ. وقد سبقنا إلى هذا عمرو بن بحر الجاحظ بقوله:«...، المعاني مطروحة في الطّريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر الألفاظ، وسهولة المخرج،...، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير.»[2] بمعنى أن مكمن "العبقريّة" هو في كيفيّة إلباس هذه المعاني لغتها. وعلى هذا الأساس يمكن القول؛ إنّ الخيال الذي قوامه الإبداع والخلق، واللّفظ المتأنّق، هو: "الشّعريّة".

خاتمة:

تقتضي الشّعريّة تقصّي الوعي اللّغويّ الّذي يتحكّم في خصائص النّوع الأدبيّ وتقنيّاته، وتحليل ذلك الوعي بفاعليّة قرائيّة، تكشف الكيف، وتُعيّن جماليّته، وتستنبط قوانينه الدّاخليّة الّتي تتحكّم فيه. فقد عني الدّارسون النّقاد واللّسانيّون قديما وحديثا بهذه المسألة -أيّ "الشّعريّة"- ونظر إليها كلّ دارس من زاوية مختلفة، حسب التّصوّر الّذي يبدو له مناسبا، فتعدّدت مفاهيمها ومصطلحاتها، ومدارسها أيضا، وتظلّ في كلّ الحالات من مرتكزات المناهج النّقديّة على اختلافها، الّتي تسعى إلى استظهار كينونة النّصّ الأدبيّ، وإبراز وظائفه الجماليّة، والإبلاغيّة، مع اشتغالها حول استنباط الضّوابط أو القوانين الّتي يتمكّن من خلالها المبدع التّحكّم في إنتاج نصّه، وإبراز هويّته. ويبقى مصطلح "الشّعريّة" في المحصّلة دالا على خواصّ النّصّ الأدبيّ، وإن تعدّدت دلالاته عند النّقاد العرب المحدثين بتعدّد مفاهيمه.

المراجع:

01- أحمد منور، علم النّصّ من التّأسيس إلى التّأصيل، مجلّة اللّغة والأدب، معهد

(1) - جان كوهين، بنيّة اللّغة الشّعريّة، تر: محمّد الولي ومحمّد العمريّ، ص: 40.

(2) - الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1969، ج1، ص:131، 132.

اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 12، شعبان، 1418هـ/ ديسمبر 1997.
02- الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1969.
03- تزفيطان طودوروف، الشّعريّة، ترجمة: شكريّ المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط2، 1990.
04- جان كوهين، بنيّة اللّغة الشّعريّة، تر: محمّد الولي ومحمّد العمريّ، دار توبقال، ط1، 1981.
05- حازم القرطاجنيّ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمّد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط3، 1986.
06- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص، دار الحكمة، الجزائر، دط، فيفري 2000.
07- رولان بارت جيرار جينيت، من البنيوية إلى الشعرية، تر: غسان السيد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق،2001، ط1، 2001.
08- سعيد بنكراد، سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط ، ط1، 1433هـ-2012.
09- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 164- صفر1413هـ، أغسطس/آب 1992،
10- عبد العالي بوطيب، إشكالية المصطلح في النقد الروائي العربي، فصول، مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد70، شتاء- ربيع 2007.
11- عبد المالك مرتاض، الأدب والأدبيّة: بحث في الماهيّة، علامات في النّقد، النّادي الأدبيّ الثّقافيّ، جدّة، المجلّد العاشر،ج40، ربيع الآخر1422، جوان 2001.
12- فيروز رشّام، شعريّة الأجناس الأدبيّة في الأدب العربي، دراسة أجناسيّة لأدب نزار قبّاني، دار فضاءات للنّشر والتوزيع ، عمّان ، ط1، 2017.
13- فيروز رشّام، قضايا الشعريّة وإشكالاتها، مجلة معارف، كلية الآداب واللغات، جامعة آكلي محند أولحاج- البويرة، السّنة الثّامنة، العدد15، جوان 2014.
14- مجموعة من المؤلفين، إشراف محمد القاضي، معجم السّرديات، الرّابطة الدوليّة

للنّاشرين المستقلّين (دار محمّد عليّ للنّشر- تونس، دار الفارابي - لبنان، مؤسسة الانتشار العربي- لبنان، دار تالة- الجزائر، دار العين - مصر، دار الملتقى- المغرب)، ط1، 2010.

15- محمد الواسطي، قضايا في الخطاب النقدي والبلاغي، مطبعة آنفو- برانت، فاس، دط، 2009.

16- محمّد كنونيّ، بعض مظاهر الأثر اللّسانيّ في الشّعريّة الحديثة، البلاغة وتحليل الخطاب، مجلّة فصليّة علميّة محكّمة، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، العدد11-2017.

17- محمّد مشبال، النّصّ الأدبيّ القديم من الشّعريّة إلى البلاغة الحجاجيّة، التّحليل الحجاجيّ للخطاب، بحوث محكّمة، إشراف وتقديم: أحمد قادم، سعيد العواديّ، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1437هـ - 2016.

18- محمّد مشبال، عن تحوّلات البلاغة، بلاغات، مجلّة دوريّة تصدر عن مجموعة البحث في البلاغة والأدب بالمغرب، العدد الأوّل، شتاء 2009.

19- نور الدّين السّدّ، الأسلوبيّة وتحليل الخطاب، دراسة في النّقد العربيّ الحديث، ج2، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بوزريعة – الجزائر.

20- يوسف وغليسي تحوّلات «الشّعريّة» في الثّقافة النّقديّة العربيّة الجديدة، عالم الفكر، مجلّة دوريّة محكّمة تصدر عن المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب- الكويت، العدد3 المجلّد 37 يناير- مارس 2009.